التحولات المجتمعية وجدلية الثقافة والقيم (2 من 2)

لسنا في وضع مترف كي نغرق في الصراع بين العقل والدين او بفتح صراع جديد بين القومي والاسلامي

الإقليمية تشكل لذاتها سمات وطنية ونرى دولاً تتشظى وتتنكر كلها للأمة على الرغم من وحدة اللغة والرسالة

خالد الكركي*

■ إننا لسنا، أعني أبناء الأمة، في حالة من ترف الحياة والفكر حتى نغرق في مثل تلك الصّراعات الشديدة بين الدين والعقل وبين القديم والجديد. ولسنا أيضاً في حالة ثقافية واضحة مبصرة حتى نفتح صراعاً جديداً بين القومي والإسلامي، في الوقت الذي نعجز فيه عن وقف التشظي بين الطوائف الإسلامية، ولو قمنا بإحصاء تكاليف الفتن والانقلابات والحروب الأهلية وأسلحة الاستبداد، وصراعات الطوائف، لعرفنا أننا يحطم بعضنا بعضاً، ونحن فقراء وأيتام ومقهورون لا ننتج، ولا نرد هيمنة الآخر عنا، بينما الدنيا في شرقها وغربها تبني وتدخل إلى المستقبل، حتى لو كانت شعوبها في أودية ليست بذات نفط، وليس مطلوباً أن ننكفئ على الجراح التي نحس ّبوخزها، وكرامتنا التي صارت خطاب حماسة، بل أن تستيقظ ضمائرنا وعقولنا على ضوء الحرية وتحديات الزمان الجديد.

قد يقول آخر إن شمولية الإسلام، وألق الإبداع العربي، والمنهج العلمي الذي عرفته الأمة، والعقل الذي استيقظ في بغداد والأندلس، تكفي كي تجعلنا على الطريق إلى حيث يصنع التاريخ والمستقبل، وتكفي أيضاً لتشكيل قاعدة ثقافية تحدد صلة الإنسان بالله، وصلته بأخيه الإنسان، ثم صلته بالكون من حوله، وقد توافرت لهذا الإنسان أنوارٌ من الوحي والعقل والشعر تكفي لخروجه من ثقافة الخرافة والسطحية والاستبداد، وتكفي أيضاً لوصوله إلى حيث يُصنع المستقبل، دون أن يلتفت إلى صراعات مفتعلة بين الديموقراطية والشورى، والعقل والوحي، والاستبداد والحرية، والشمولية والتعددية، ذلك أنه إن أضاءت له ثقافته في نسيجها الديني والقومي عتم زمانه فسوف ينفك من العزلة والتبعية والإقليمية والتعصب، ويبدأ رحلته لإعادة تأسيس ثقافة حضارية متقدة، تفهم الدنيا، وتمثل مشروع حضورٍ أمته في المشهد الإنساني صراعاً أو حواراً، بل سوف تدفعه ثقافته للمساعدة في تحرير المقهورين من سطوة رأس المال الطفيلي، وظلم الحكام الفاسدين، والعلماء الخائفين، ثم إلى أفقٍ جديد يحطم فيه الناس الأغلال، ويتحررون من الخوف، ويحطمون الأصنام؛ أصنام الاستبداد والمال والإعلام في فعل أجدادهم ذات بعث إسلامي عظيم.

البحث عن زرقاء اليمامة

أعرف أن في هذا الكلام انزياحاً نحو حماسة قد لا تتفق وهدوء البحث العلمي، لكنني أرى أن جزءاً من الخواء الذي يغطي أرواحنا بالصدأ موجود في منطقة الوجدان، ويقظة الوجدان على الحياة صعود بالروح والرؤية نحو زمان جديد عاقل وحرّ، تكون فيه الروح والرؤية ممتدتين في الأفق القومي والمناخ الإسلامي دون تناقض؛ ومن حقّنا أن تكون الثقافة صورة لأشواقنا الروحية والقومية والإنسانية، ولنا في حال الهند إن ذكرت ثقافتها، وفي حال الصين إن وصفت رؤاها، لنا فيهما مثالان واضحان، حتى لا تبدو السُبل ضيقة، وتنسد الدنيا علينا كما انسدت على المتنبي يوم أرّقه فراق جدّته:

وما انسدّت الدنيا علي لضيقها
ولكنّ طرفاً لا أراك به أعمى

ومناطق العمى في حوارنا الثقافي كبيرة وواسعة، وما العمى الذي يصيب المثقفين منا إلا نتاج لتنكرهم لزرقاء اليمامة التي كانت ـ ولابد أن تظل ـ نموذجهم في الاستشراف والرؤية المبصرة، حتى لو دفعت عينيها الرائعتين ثمنا لذلك.

إنني لا أتذرّع هنا بحسن النيّة وطيب الظن، فلو كنت كذلك ما قلت الذي أقول، ذلك أن النوايا الحسنة في حالات كثيرة، تعبير عن سذاجة وقبول خانع بما يجري، لكنه يغطى باسم النوايا الطيبة.. لذلك أقول: إننا في زمان «مقشعر»، ومن حولنا رؤى تبدو برّاقة وهي خادعة، ومنها هذه الدعوات التي وصلت مع إعلام المحتلين والطامعين، وتأسست لها مراكز، ودفعت لها رشاوى باسم دعم انتقالنا إلى العالم الذي تشغله حقوق الإنسان، والبيئة، وانتشار الديموقراطية. وكأننا لم نقرأ درسنا من عبد الرحمن الكواكبي وهو يصيح في كتابيه بالإصلاح والحرية والشورى، ويؤسس مشروعاً ثقافياً بدأ في حلب، كما بدأ المشروع الاستشهادي الثقافي أيضاً من حلب، في روح فتى اسمه سليمان الحلبي، روحه تطوف حول القاهرة، وأعضاؤه موزعة في متاحف باريس.

يقول الكواكبي:

«وعندي أن البليّة فقدنا الحرية، وما أدرانا ما الحرية. هي ما حُرمنا معناه حتى نسيناه، وحرّم علينا لفظة حتى استوحشناه؛ وقد عرف الحرية من عرّفها: (بأن يكون الإنسان مختاراً في قوله وفعله لا يعترضه مانع ظالم). ومن فروع الحريّة تساوي الحقوق، ومحاسبة الحكام باعتبار أنّهم وكلاء، وعدم الرّهبة في المطالبة وبذل النصيحة. ومنها: حرية التعليم، وحرية الخطابة والمطبوعات، وحرية المباحث العلمية؛ ومنها العدالة بأسرها حتى لا يخشى إنسان من ظالم أو غاصب أو غدارٍ مغتال؛ ومنها الأمن على الدين والأرواح، والأمن على الشرف والأعراض، والأمن على العلم واستثماره، فالحرية هي روح الدين...». (الأعمال الكاملة 290).

إن الثقافة القومية لغة وتاريخ ونسق حضاري، وقيم فيها حرية وعدل وتسامح ومروءة وشجاعة، والثقافة في جانبها الديني روحٌ ووحي وسكينة، فهل يمكن أن نطرح سؤالاً بسيطاً في الواقع العربي؟ هل يشكو أحد من انفصام بين عروبته وروح الإسلام الذي يشكل رؤيته والإطار الرئيسي لحضارته وحضوره؟!! أم أننا ندخل في تهيؤات التصور العربي القاصر لحضارتنا، سواء أكان استشراقاً قديماً أم مراكز دراسات قاصرة، أم دراسات عن صراع الحضارة ونهايات الدنيا والعالم ظهرت في سياق اندفاع راعي البقر الهائج نحو العالم الخارجي، مخلّفاً وراءه قيماً جميلة في بلاده، تخلى عنها لصالح نماذج غادرت زمن همنغواي ومارك توين إلى زمن غوانتانامو وأبو غريب.

أقول أيضاً إنني أرى الثقافة العربية حاضرة، بل وأرى القومية العربية (الفكرة والجوامع القومية) حاضرة، دون أن أجعل أي حزب قومي وعاءً نهائياً لها، ولا أي نظام سياسي عربي حاضناً أخيراً لها. لقد غابت الفكرة القومية خمسة قرون ويزيد قبل عصر النهضة الحديثة، ولكنها كانت مخبوءة في لسان العرب، وشجاعتهم، ومروءة فرسانهم، والخيرين منهم، وحين عادت لإحياء الثقافة في ظل الامتداد الإسلامي حاربها الإقليميون والمستعمرون معاً، وما تزال في نظر من أصابهم العمى غير موجودة، وإني لأعجب للذين يبحثون في تشكل الأمم (الألمانية والهندية والروسية والإيطالية والفرنسية والصينية) وينكرون حق أهل الثقافة القومية بحلم الدولة الواحدة أو الولايات المتحدة... ونحن نراهم يذبحون الحلم لصالح شموليات تدين العروبة أو الإسلام، دون أن تعي حركة التاريخ التي عبّر عنها كبار أهل الفكر المعاصرين من زمن فيصل بن الحسين إلى زمن قسطنطين زريق وعبد الله العلايلي وعبد العزيز الدوري وآخرين كثيرين؛

أقول:

إننا نتحدث عن الإنسان لا عن السلطة، وعن الإنسان المثقل بالكوارث والمجاعات والاستبداد لا عن الجامدين والجاحدين والخائفين والمستبدين، ونتحدث عن المتحوّل مع فهمنا للثابت بحدوده النصّية والتاريخية، دون أن يغلق أحد علينا باب التفكير في مصائرنا ومستقبلنا.

نتحدث في زمان يشبه مقدمة تشارلز ديكنز لرائعته «قصة مدينتين».

«كان أفضل الأزمان، وكان أسوأ الأزمان، كان عصر الحكمة، وكان عصر الحماقة، كان عهد الإيمان، وكان عهد الشك، كان موسم النورّ، وكان موسم الظلام، كان نبع الأمل، وكان شتاء اليأس، كان لدينا شيء، ولم يكن لدينا أي شيء، كنا ّجميعاً متجهين إلى السماء، وكنا جميعاً في طريقنا إلى الاتجاه الآخر».

نتحدث عن تيار ثقافي تقدمي روحه في ثورة الإسلام وإشراقة العروبة، وما لدى إخوتنا في الوطن من قيم دينية وإنسانية، وما فيه ـ الوطن ـ من خصوصيات لا ترفض النسيج العظيم. نتحدث عن ثقافة تشكل لنا «الفرج بعد الشدة»، و«العواصم من القواصم»، و«إغاثة الأمة بكشف الغمّة»، وهذا لا يكون إلا بإنهاء عزلة المفكرين، وإعادة المثقفين من الهامش إلى المتن، وبث الوعي في الجامعات حتى تتشكل للعقل مدرسة جديدة تنير الدروب والكهوف في هذا العالم العربي الإسلامي، وتأذن للنهر أن يتدفق دون أن يغلق أحدٌ عليه دروب مجراه «ولأبي محجن العربي» أن يقاتل دون أن يصادر السلطان سيفه وفرسه وهواه.

وأضيف: نتحدث والإقليمية تشكل لذاتها سمات وطنية ونرى دولاً تتشظى، وتتنكر كلها للأمة على الرغم من وحدة اللغة والرسالة والتاريخ والأشواق والفقراء والأطفال، نعم: تجمعنا الثقافة، وتفرقنا السياسة، توحدنا الحرية، ونتشظى تحت سياط الاستبداد، نلمّ شظايا الأمة، فيوغل السياسيون في التفكيك، نزرع الأمل، وينشرون اليأس، ندعو إلى التسامح، فيتحد المتطرف والمستبد على القتل وتأسيس السجون.

فأي الطبقات نخاطب وقد استبدت بنا البروجوازيات التابعة، والرأسماليات الطفيلية، وتحالفت مع الآخر ـ العدو في زمن العولمة المتوحشة؟

وأعود إلى نداء «إغاثة الأمة بكشف الغمة»؛ والغمة هنا ظلمات لا ينفع فيها دم السلطة ولا حبر الكتابة، ولا أظن شيئاً غير دم ثائر يستطيع أن يضيء الليل الذي أرخى سدوله، ففي زمن الرؤى المصادرة، والأفكار المقيّدة، والحرية الحبيسة، والعدالة الغائبة، والجماهير التي تموت عطشاً وأمية وقهراً،

في مثل هذا الزمان: لا يطلب الفقراء غير الستر، والستر عباءة من الحرية، أو خضاب من دمها، أو موت كريم على تراب لم يمسسه الاستعمار والاستبداد بعد، أو لا يظل فيه عميلٌ أو خائن.

ويبقى في النهاية تصوّر بوطن واحد متعدد البيئات، واللغات والمجتمعات، لكن الثقافة فيه إطارٌ أو نسيج أو قنديل، وليس مطلوباً أن يشكل الساسة منها أيديولوجية شمولية، أو آراء جامدة لا تتفق وحركة الحرية والحياة في هذا الوطن الواسع، وليس مطلوبا أن يقرر أحد في دولنا موضوع «الأمن الثقافي»، إذ لم أسمع بمصطلح أشد غرابة وإثارة للاستغراب من هذا، لأنه انتهاك للحرية، وإعلان للاستبداد، وكفانا ما تفعله السلطة بالحريات بينما نحن نحلم بحدود مفتوحة بين أقطار الأمة، وجامعات متعاونة في المعرفة والبحث الفكري ومواجهة التحدي الحضاري، وإعلام يفهم العالم ولا يقع فريسة لغباء أهل العولمة، وحريات لا تترك مجالاً للأيديولوجيات الحزبية الشمولية، والقادة الملهمين، أوطان فيها لكل منّا صاحبته التي تؤويه، وصاحبته الحرية، وضالته التي ينشدها، ولا بد أن تأخذ شكل العدالة، وحلمه الذي يجري وراءه مشتاقاً وشهيداً، وشكوكه التي لا تنتهي حتى لا تفرض عليه قوالب جامدة باسم السلطة والوطن والمستقبل، فهل بعد هذا نطمع في بناء دون تقويض! أتحدث عن العدم لا عن الخراب، وعن تحرير المواطن من نزعات اللاأدرية، والاستلاب، والتردد، والعزلة والتعصب وأمراض الاكتئاب والانفصام التي أصابته بها الأنظمة، والسياسيون، والأمنيون، والإعلاميون، لأنه لم يؤجر قلمه وعقله لصالحهم.

لست حالماً ببطولات، بل بمواقف تحترم المبادئ والقيم الكبرى في الحياة، خاصة ونحن نتحدث عن الثقافة؛ آخر الحصون في الدفاع عن «أمة واحدة ذات رسالة خالدة»، لعلها «تستبين الرّشد» قبل ضحى الغد. إن الأمر منوط بالتحرر الذاتي والوعي على الواقع والمستقبل، حتى تصعد الأمة إلى يقظة باهرة تدخل بها دروب المستقبل، بثقافة تستكمل عناصر الحياة الكريمة كما أراد الإسلام بروح رسالته العظيمة، وكما أشرقت العروبة على العالم بهجة وجمالاً وتسامحاً... إنّها ثقافة الدفء الإنساني المثقلة بالشمس، والأجيال الجديدة بعقولها المتفتحة، ومختبراتها، ووعيها على الحرية والحق والشهادة.

ومن أجل اليقظة لا بد من معركة للتمرد على التفسير النفطي لحركة التاريخ، وللتحرّر من هيمنة الآخر واستعماره الجديد، ومن ثقافة التعصب والخرافة والإقليمية، والفرق التي تشبه تلك التي كانت في الأمة عبر القرن الرابع الهجري ذبحاً وشتاتاً. من هنا، أرى أن على العقلاء (من الأكاديميين والمثقفين والإعلاميين) أن ينحازوا إلى شروط التحرر مهما بدت المرحلة معقدة، وأن ينسجوا ما تناثر من خيوط الائتلاف بين أبناء الأمة، فالواقع ليس حكراً في تفسيره على دعاة الليبرالية الغربية الذين قبلوا نهاية التاريخ بانتصار الرأسمالية، ولا على المتزمتين الذين أغلقوا الكهوف على أنفسهم ومنعوا الاجتهاد، والعدالة ليست حكراً في فهمها على التكنوقراط الذين يملكون الوسائل ولا يعرفون شيئا من مناهج التقدم والحياة.

فهل ينتهي الإرهاب الفكري الذي فرض على الأمة في مراحل مختلفة، ويتوقف ظلم القريب والبعيد لأمتنا التي يتقاسم الناس دمها وخبزها منذ زمن هولاكو وريتشارد قلب الأسد إلى اليوم، وخير لها أن تكون خراباً أرضها من أن تظل خانعة خائفة.

كلّ هذا لا نصنعه نحن، بل تصوغه روح ثقافة توحد الناس على الجوامع التي لا يختلف فيها الأحرار والعقلاء، والذين يؤذّنون في الناس بالحرية والعدل وحق الحياة؛ وينبهون الناس إلى الفتن التي تطل برؤوسها من كل مكان وفي كل زمان.

إن الفعل الثقافي الحقيقي استعادة لليقين الذي انهار في نفوس الناس، وتوقفٌ عن نظرية المؤامرة التي نخبئ وراءها إخفاقنا الذريع في تحقيق حضور فاعل في دورة التاريخ والحياة، وهو أيضاً نسق معرفي ينتج خطاباً قومياً جديداً، ومراجعة لحالة النسيج العروبي في صلته بالروح الإسلامية، ورفضٌ للأوهام والخرافات التي تملأ كتبها الشوارع العربية، والفضائيات البائسة بلغتها وإعلامها، وحصادها المرّ على مرأى من الفقراء والمقموعين واليائسين.

الفعل الثقافي في نسيجه القومي والديني نضال إنساني، وتمثيل حقيقي للناس الذين يحملون عبء البقاء في صحارى الوهم والعطش العربية، وهم اليتامى الصادقون في المشهد الزائف الذي يجمّله أناس منا وظفتهم السلطة أو الاستعمار لنشر الوهم بدلاً من الغوص في المستويات المعرفية الإنسانية، وجرّ الناس إلى التعصب الذي يعمي أبصارهم فلا يقبلون النقد ولا الشك ولا الرأي الآخر، ويظنون أنهم مالكون للحقيقة المطلقة في الدنيا وما وراء الدنيا، وهؤلاء المعجبون بديموقراطية الاحتلال في العالم العربي هم الطاعون الأكبر في الحياة الثقافية العربية، وقد صارت لهم منتديات، ومنابر، ووسائل إعلام، وتمويل، وهم قادرون على «التسويغ» لما تريد السلطة نشره بين الناس، والتنظير لما يريد الآخر المحتل فرضه علينا، لذلك فإن ثقافات التبرير، والخرافة، والمقاولات الأكاديمية وغير الأكاديمية، والجوائز، تعطل علينا قيامتنا القادمة باسم الأمة منذ أن صاح الكواكبي في أم القرى إلى أنْ نادى الماغوط قبل رحيله: «سأخون وطني» لأنه لم يعد وطنه... ويوم يشتعل أوار الفتنة التي سماّها عبد الإله بلقزيز («الحرب الأهلية الفكرية» ـ نهاية الداعية ص 72) نكون قد وصلنا متأخرين لإخماد نارها، بعد أن استنزفت العقل، وألقت بالتسامح في غياهب النسيان؛ ونبدأ مرحلة من تسوّل الحرية والثقافة أو تسوّل من السلطة... وهذه ذروة المأساة.

إضاءة (4). ختام:

نحن اليوم أمام زمن جديد يشبه القرن الرابع للهجرة، غنى معرفي، ويأس سياسي، وفقرٌ وسجون ودمٌ على الدروب وفي الشعاب... وتبدو الظاهرة الثقافية عند حدود التشظي على الرغم من النيّات الطيّبة، حتى لو جاءت من ممثلي السلطة السياسية ـ وزراء الثقافة مثلاً، ومع أن المشهد الخارجي يشير إلى ازدهار التعليم هنا وهناك، ونشوء جامعات بأعداد كبيرة، وتحوّل واسع في حركة نشر الكتب والصحف، فإنني لا أعوّل على هذا كلّه، فقد يقع مثله في مناخ يسيطر عليه حكام مستبدون في باب التظاهر، وتنفيذ الحدود الدنيا من رغبات الناس، لكنني أود أن نمعن النظر في المسكوت عنه في ثقافتنا المعاصرة، التي يتقاسم مشهدها أصحاب تيارات متناقضة من النخبة التي يفترض أن تشكل عقل الأمة وضميرها؛ وهم:

ـ النفعيون، وفيهم أساتذة، وفقهاء، وكتاب، وإعلاميون، وقد تواردوا على ينابيع السلطة أو تحالفوا معها، وظن بعضهم أن الإصلاح يبدأ من هنا.

ـ الإصلاحيون، وهم الوسطيون الذين لا يريدون أن يفجّروا غضباً عارماً في نفوس الناس أو في نفوس السلطة، وهم جزء كبير بين هذه الفئات، وتسفعهم مصطلحات الاعتدال والوسطية، ومصلحة الأوطان، لكنهم لا يقومون بدور تنويري جذري.

ـ المحتجّون، وكدت أقول الرافضون، لكنها درجة أعلى من هذه، وتقف بين الاحتجاج والثورة، وهم الذين يملؤون الفضاء صراخاً، وهم في الغالب شفويون لا يشغلون أنفسهم بإرساء القواعد اللازمة للتغيير في المجالات التي يكثرون الاحتجاج حولها.

ـ الجذريون، وهم أهل الالتزام الأعلى بالأمة، وبينهم وبين الكواكبي نسبٌ، وقد يصعب الحصول على دفاترهم لأنهم في الظل أو في السجن أو في العزلة المفروضة. وهؤلاء منهم الإسلاميون والقوميون واليساريون والوطنيون، وهم أهل الرؤية المبصرة التي صاح من وجعها أمل دنقل: «لا تصالح»، ووقف محمود درويش عند حافة الحياة يوم نادى «نحبّ الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا»، وحدّد إيقاعها أحمد عبد المعطي حجازي:

«إنني ضائع في البلاد،
ضائع بين تاريخي المستحيل
وتاريخي المستعاد،
حاملٌ في دمي نكبتي
حامل خطأي وسقوطي
هل تُرى أتذكر صوتي القديم،
فيبعثني الله من تحت هذا الرماد»...

فهل نحن على بيّنة من الأمر، وهل نميز ـ كما أراد الراحل يوسف الصائغ «بين الوطن الغالب والوطن المغلوب»؟ أم أن الرؤية في الزمن العاصف والرياح العاتية لا تكون إلا لمن استعار عيني الآخر كي يبصر الطريق؟ لقد صاح شاعر في القرن التاسع عشر:

أعرني طرف زرقاء اليمامة
لأبعد بصر ما ورا تلك الغمامة

ولماذا نذهب وراء الغمامة ونحن أحياناً لا نستبين مواقع حركتنا الأولى في شوارع الوطن!!! وقد يقودنا مثقف مزيف يمثل دور «كلب الحراسة» لفئة ظالمة أو فاسدة أو عميلة!! (كلب الحراسة مصطلح من كتاب سارتر، دفاع عن المثقفين، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت 1973).

في الختام:

يظل السؤال مشرعاً لجدل طبيعي بين أبناء الأمة حول حضور القومي والديني في ثقافته، لكنني لا أرى نقل الأمر إلى الجدل، لأننا لسنا أطرافاً متباينة أو متنازعة حول الإسلام والعروبة. وأعرف أن هذا الكلام حسن النية ونظري بحت، لأن في الواقع من جراح التعصب القومي أو العرقي أو الطائفي ما يشير إلى مستوى آخر من الجدل الذي لا يقبل به الذين يرون الأمة حاضرةً في المشهد التاريخي، وإن لم ينطبق حضورها على كيان سياسي موحد يحملها إلى المستقبل. وأقول أيضاً إن العروبة فضاءٌ حضاري وليست عرقاً لجنس من البشر، ومن حقنا أن نعلن أننا أهل هذا الفضاء العربي من مسلمين ومسيحيين ثم نضيف إليه الدائرة الأكثر سعةً وشمولاً وتمثيلاً، وهي دائرة الإسلام التي تشكل مظلة واسعةً لأبناء الأمة من عرب (مسلمين ومسيحيين) وأممٍ وشعوب وأفراد اختاروا الإسلام عبر العالم كله، سواءٌ أكانوا في الدول الإسلامية، أم يشكلون أقليات في دول غير إسلامية. إننا إذ نتمنى أن يكون لنا وجهنا الثقافي الذي يزيدنا إنسانية وحرية، ونريده لا من أجلنا فقط بل من أجل هذا العالم الذي يبحث عن خلاص جديد، وأضيف أخيراً أن المسلمين، والعرب منهم، منفتحون على حضارات غيرهم مثاقفةً وتأثراً وتأثيراً وحواراً ما دام الأمر على قدم المساواة ودون قهر أو احتلال. وهم قادرون ـ لو اختاروا ثقافة الحرية ـ على بناء دولة ديموقراطية حديثة تتعايش فيها الأفكار والشعوب بسائر شروط العمل الديموقراطي الحقيقي بما فيه من حقوق وواجبات، وما له من أبعاد في الوعي والعدل والمساواة؛ وهم قادرون على ذلك بالفعل الذاتي الوطني، لأن الحرية ليست هبة من هذا أو ذاك، والديموقراطية ليست نتاجاً رأسمالياً، وحقوق الإنسان ليست إبداعاً غربياً، وان فعلنا ذلك وصلنا بعد هجير التشظي والغضب والقلق إلى ظل موعود، وواحات آمنة، وفضاء جديد وبهيج.

إن الفعل الثقافي الحقيقي استعادة لليقين الذي انهار في نفوس الناس، وتوقفٌ عن نظرية المؤامرة التي نخبئ وراءها إخفاقنا الذريع في تحقيق حضور فاعل في دورة التاريخ والحياة، وهو أيضاً نسق معرفي ينتج خطاباً قومياً جديداً، ومراجعة لحالة النسيج العروبي في صلته بالروح الإسلامية... ورفضٌ للأوهام والخرافات التي تملأ كتبها الشوارع العربية، والفضائيات البائسة بلغتها وإعلامها، وحصادها المرّ على مرأى من الفقراء والمقموعين واليائسين....

* اكاديمي وباحث اردني